إدريس عبد الجبار

فضفضة

بوحٌ من العالم الآخر

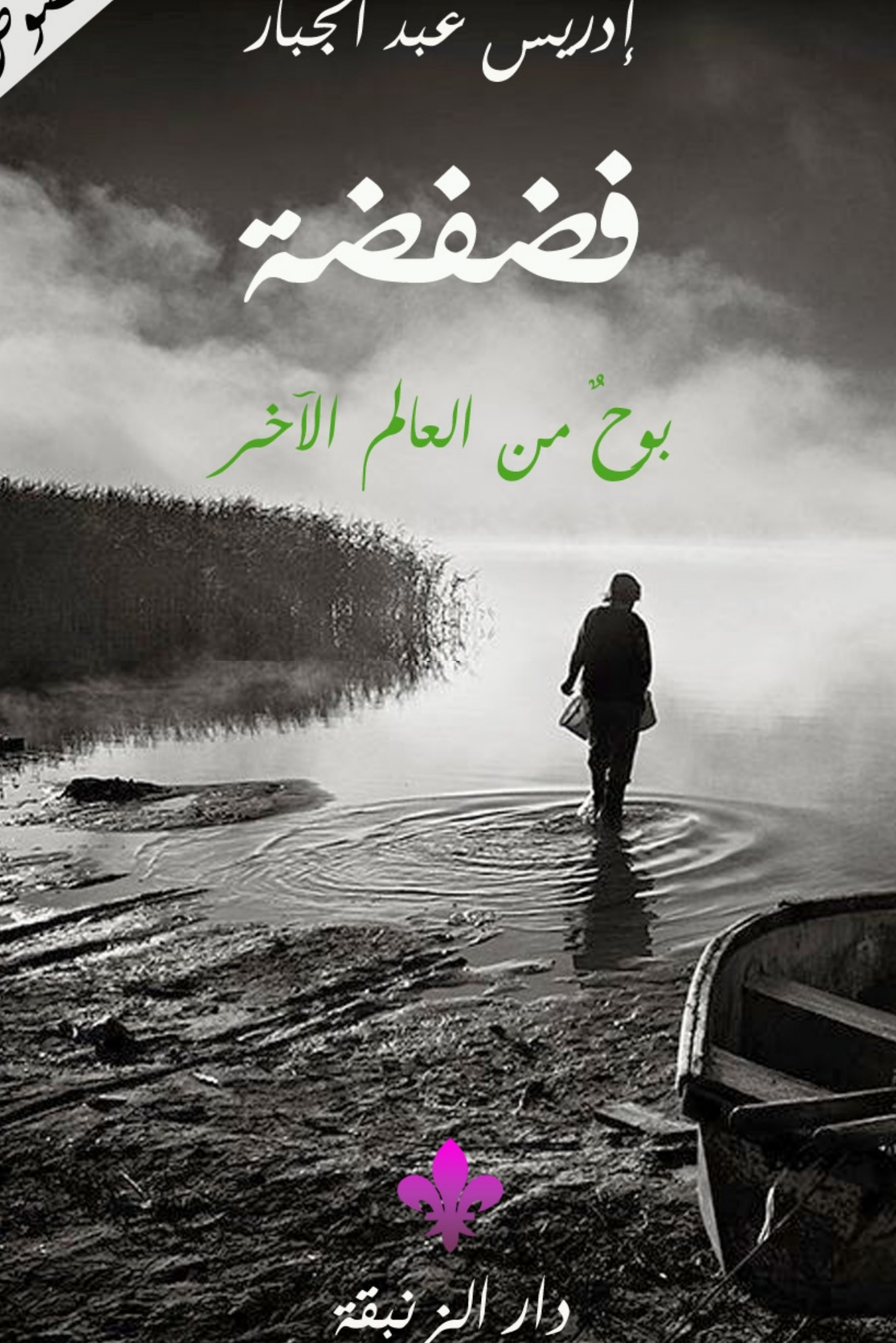

دار الزنبقة

2014

دار الزنبقة للنشر الالكتروني الحر والترجمة

Zanpaka.com

رخصة العمل : هذا العمل مرخص برخصة نَسب المُصنَّف – غير تجاري – منع الاشتقاق 4.0 دولي المشاع الإبداعي. لمشاهدة نسخة من هذه الرخصة، قم بزيارة http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/.

فضفضة

نصوص

ادريس عبد الجبار

الطبعة الالكترونية الأولى . كل الحقوق الفكرية محفوظة

فضفضة–نصوص © 2014، نشر دار الزنبقة .

حقوق الصورة الامامية والخلفية تنتمي للحقوق العامة © 2014

حقوق النص الادبي كاملة . النص الكامل . ادريس عبد الجبار © 2014

حقوق التصميم للغلاف والتنسيق الداخلي والمراجعة تابعة لدار الزنبقة للنشر الالكتروني الحر. © 2014

تصميم يونس بن عمارة

فضفضة

بوح من العالم الأخر

نصوص

كتابة:

إدريس عبد الجبار

- هذا البوح لا علاقة له بأصولية مجتمعنا...
- إذ لا يمت للواقع الجريح بأي صلة.
- كما أن الشخصيات التي به بريئة من انطباعاتنا الخاصة حولها.بحيث لا نقابلها في الطريق صدفة...
- ولا نجالسها في المقاهي الأدبية الخاصة....
- ولا نقرأ عنها حتى في الصحف العامة....

وهدفنا من تقديم هذه الطرائف هو إسعاد جماهير القراء،وإسعاد بذلك سيادتكم معها.

وهذه البيانات التالية:

"بَوْحٌ مِنَ العالم الأَخَرَ"

إدريس عبد الجبار

إهداء خاص:

- أهدي جموع هذه الخربشات إلى بقايا تلك الروح القابعة في نفسي دون فنـــــــاء...

- تعيش على الخواء تستنصر نفسها وهي لا تسصغر...

- إلى روح من ظل وسيظل راسخا حياً شامخاً في قلبي حتى بعد موته ...

- إلى دموعي التي جفت قبالة محراب الوهم الدنيوي....

- إليكم أحبتي...

==========

==========

إدريس عبد الجبار

البوح الأول

إقـــتـــــران في الفضاء...

- كانـــت أمنيتـــي الوحيـــدة خالصـــة تســـوق نفســـها إلـــى الخـــواء إكراهاً،تقاوم وهي تندفع نحوي كي أصبح مثالاً نابعا من جمال تلك الزهرة القرمزية الداكنة،فكلما تجلى الجمال لديها صوبي،إلا وخرَّ كل عضو في بدني صاعقا من رجفة النفحات تلك،إلا و غابت معها عني مساوئ الدنيا و الأخرى في وهلة زمنية وجيزة،إنني بروعة جمال تلك الأقاحي البهية أستشعر نفسي خالدا هناك دون عقاب،أمرغ أنوفي على حدائقها الشاسعة كي تمرقني النسمات الندية ،و تخالط ريقي العفن مطهرةً إياه تطهيراً أبدياً،ينسيني الشقوة والغلبة على النفس والضجر وغيرها من أمور الدنيا المنتنة...

- لكن رغم ذلك يأتيني دبيب يعوق شمي،يُحولني عن منهج الحق الصحيح،يصيبني بارتجاج بارتعاش بارتعاد، يقلقل جسماني بنزوة خاطفة،يطأطئ رغبتي أمام أكواز الخيانة المملوءة بالظلم الوسخة هناك،يمررونها إلي ممتلئة عن آخرها بأقداح الوهم ،أرشف منها قبح بلادتي،بل أنقع منها صراخ المستبدين المنتحبين هناك،حين أمسك بها جيدا ،أضعها بين شفتي كطقس إفرنجي قديم،تغرز فيَّ حينها شوكها بكل وقاحة ضانا منها أنها تقبلي في خشوع،ترديني تصيبني تقوض و تهدم بنيتي العاطفية الجياشة نحوها...

- فيتأتى لي بذلك بطلانها وإسقاط عرشها عن قلبيَّ الهش،كنت أزدريها لكني اليوم أسقطتها وأطحتُ معها جلَّ تلك القصور الفسيحة والمحاريب الموضوعة بربض مروج الزيف ،هناك حيث يتسنى لي معها أن أعبث بخيوطها الداخلية المنجسة تماماً...

-إني أشمئز منها تارةً فأغض عنها الطرف لقبح سلوكها.يعني لا أقبل بمواربتها حتى،فتراني أترنح خوفا من سخطها وجورها أمام

أعتابها أصيح وأزعق وأصدح ثم أضمها وردة إلى صدري بين الفينة والأخرى...

- أتعرف لمّا...؟

- صبراً عليها للسقوط تحت فوهة النار،لأن الحضور والمشاهدة هناك يتطلب الصبر ثم الصبر،لا الكسل المهشم على قفا الممتعضين، حين أمدها إلى كنف الوهم ،سأحرمها على نفسي دون نفيها،ثم أنبذُ رحيقها السكري المغسل بترياقها السام...

- إنها وردة زاهية بمطلع الشمس، لكنها مليئة بالأشواك الحادة...

- قد تقتل في أي لحظة...

- ما كان بودي أن أفعله هناك من شيء سوى أن أتمثلها نَفساً عميقاً يضخ فيَّ عتابه السَّام عنوةً،يشحنني كما لو أنه يمدني إليها في خضوع دون أي حراك أو مقاومة،وذلك لأني أشعرُ بها تسكنني بقوة مسها الشيطاني،فخيالها بين طابقة الجفون يكبلني،وعشقها يمنيني بأشياء كثيرة لا تستطيع أن تحرم نفسك منها،لم أجد لها تفسيراً مناسبا يقويني كي لا تشتهيني،ربما ريحها الطيب يسوقني إلى اللا مكا ن ،لأعبر سابحًا إلى البرزخ العميق هناك...

- نعم هي تلك أجمل اللحظات التي أدون فيها مشاعري بعبق الأحزان كله،كي أستدرج الحلم المزيف إلى ذاكرة ساقت نفسها للوهم دون مهتدْ،وأدُسَّ فيها أشياء لا تمت إلى عالم الواقعية بصلة،فأستنبط منها صور المجاز وأنا على دراية بما أحمله من مسؤولية صوبها،أجالس نفسي على قارعة الزيف فوق أريكة الحلم ممسكاً إياها،لأدرك في الأخير أنني أزج بها إلى عوالم خفية لا تدرك بمثل هذه السهولة،لكنها في الحقيقة عوالم شبيهة بأراضي سفلية،تسحلني لأخرس نفسي دون أي حراك.

- هي وردة وأنا مزهرية لا يسعنا المكان ولا الزمان...

- لقد خامرتني منذ ما يزيد عن عشرة عقود في إطراق،حتى الآن وهي تنتعش من وجومي بسبب فزعي المقلق منها.إذ لا يمر يوم حتى أستشعر بجلد كل فرص العيش التي مرت أمامي مصلوبة

علـى قفاي،أسـتنطقها فـي هـرج لأمـد روحـي نحـو صُـلبها إلـى كنـف الواقعية هناك...

- إنه أول يوم نستمد منه روائع ما نعيشه في خيالنا...

- لست أرى ذلك سوى حلماً يشتهينا أن نكون معاً....

- لكن ما السبب الذي يجعلنا نجالس الوهم....؟

"لطيفة" ؟

- لا أعرف لما عزيزي....؟

- كـلِّ اشـتياقْ أن أنجمـع وإيـاك أشـلاءْ مـن بـين ألـف أشـلاء،وأنـت تتسـاءلين أيـان **أبعـثْ**،أمجـدك فأحركـك والعـين تـذرف ثوابتنـا الباهظـة،قيمنـا السـامقة المخطوطـة علـى جبـين الـورع،حِصـننا الأخلاقـي الـذي لا ينتهـي بـرجم مـن الغيـب فقـط،لأنـك متقـدةً بنـور الحـب الـذي لا يخلـوا مـن الاشـتياق.سـتُجهزين علـى جنائزنـا المهيبـة في وجوم،فوق منصة الوهم الأبدي دون نفاق...

- ونحـن فـوق قمـة العجـب نتلقـى بأجسـادنا لرصاصـاتك المحشـوة بـالملحِ هامـدين كالسـيل الجـارف.تَمْرقنـا الرصاصـات لتخـتلج أوصـالنا ،خالفـةً وراءهـا فوهـة شاسـعة مـن الـوهن،دونمـا أن يخـرج منهـا ريقنـا المحرم بانسجال،لنسدل ستار الزمان والمكان،،،

- ونحـن فـي عنـاق ننـادي نـداءاً أبـدياً،ننظر إلـيهم مـن ثقـب أسـود كالح متناسين صروف الدهر،بل تنظرين إليهم أنت وحدك فقط....؟

-أمَّا أنا...

فأقـاومهم و أنـا أرقـبهم مـن أقاصـي تلـك المـروج المترامیـة.وأنـت تـدكينَّ فسـيح نسـماتك القدسـية فـوق ضـلوعي الناسـكة الزاهـدة.أحتمـي ببركاتـك المصـونة مـن جـرم إقترفـوه فـي الفضـاء الرحـب،لقـد خالطونـا دون أن يدروا أننا بشر مكونون من روح وطينة...

قولي بصوت صاخب محكمة...؟

سأخرجُ متمردا مضطربا والقشعريرة تمتلكني....

-هنـاك **أُسـقط** حينهـا لثـام التـورع مسـتتراً،لتلتصـقَ كلمـاتي بهمسـاتك دون تبـرم،أتنـاغم مـع الحـروف المضـمومة لوعـةً و جـوَّى.فأنسـى أننـي بلعاب الفضائيين مكبل...

- إن القصـــيدة عزيزتـــي منبـــر لا يخلـــوا مـــن الغرائـــب والطرائف...

- إن القصـيدة التـي لا أمـارَةَ للـدموع فيهـا،هـي قصـيدة حـدباء ميتـة تتذر بطيرةِ واقعها.

-دعـك مـن هـذا الآن قلي.كيـف سـنهوي عزيـزي مـن السـماء إلـى الأرض،ونحن في الفضاء نقترن....؟

- أنـت أبلـغْ قبلـي أننـي لـن أنـبجس مـن ثقـوب الفـراغ تلـك حتـى تتـواءم أرواحنـا الممشـوقة،سـأخر جاثيـا أمـام جُسـمان لا تـذعنُ إلاَّ فـي الصـلاة خاشـعة،أنـا فـي محرابـك سـأظل حبيسـاً مثـل افتـراء مسـتهتر،متغاضـيةً عن أفعالك الساذجة بحرية صاغرْ...

- لا تقف هكذا عزيزي متسمر في ذهول...

ماذا أفعل...؟

- اصرخ في وجهِه صَرْحِهِ الممتد إلى قلبك الرميمْ...

- وأنت ماذا ستفعلين...

- أرجوكِ تحاشيه كي لا تصيبك نقمه الجائحة...

- أتعلمين ما ستفعلينه...؟

- ماذا سأفعل عزيزي ونحن في تخوم هذا الفضاء الشاسع...

إفعلي عزيزتي كذا وكذا...ماذا...؟

- زلزلـي المَـارِق بحـروف نسـختيها أنـت وحـدك.قـاوميني إذا مـا تحولت إلى مهجن مغاير عنك،ضاع دمه بين عرين المُسوخ تلك...

- ألا تريني ذاتاً تفقأُ من عين وجفون المحظور،،،

ألست مستلباً عنيدا بالفجور...

- إنني مكمم بإزار قرمزي محموم يهزني إلى السماء أمتاراً كما لو أني أختلس عنوةً،تَمرُقُني أرواحهم برصاصاتهم من جسدي النحيف هذا،فينسل كالغمام من فضائه الشاسع،وأنا معصَّبَ العينان أظل برباط أسود مكفهر متجهم،وهو يجثم على قلبي أمام فيافيه الصمت تلك،يُضِلُّ طريقي بعيدا عن نهج الأرواح القويمة تلك،،،

- إنني أشعر أنني في هبوط تام....

- في انتهاء لا يستهان به...

- لاح الصباح واستمطر الودق مروجي الجافة،لحظتها وضعت يداي على صدر زوجتي الضيّقْ،ثم نثرت فوق همسها كلمات كانت مختزلة من جوف الضياع في الفضاء،دنوت منها في خشوع تام خشية إملاق،فأمسكت يديها في صمت رهيب،وقبلتهما قبلات حارة،وقلت لها:

- لقد راودتني الشياطين عزيزتي عن نفسي دون رحمة بي كبشري،ظلت ليلة كاملة وهي تفرك صدري الفسيح،تمرقني أوصالها بجوى وحب ناضج،تعاتبني كي لا أنسحب دون قضاء وطر....

زعقت زوجتي لطيفة بصوتها الخاسف،واستنفرت وتوجست وهي تجوس بكلماتها كل مناطق جسدي بآياتها المباركة،،،

أعوذ بالله أعوذ بالله.

إنتهى

البوح الثانى

إبليس يحاصرني...

- أحب أن أؤسس لنفسي مشروعاً لا يداخلني فيه أحد،أبغي منه وحدي فقط الشيء الكثير،أشياء كثيرة ستمدني من رباط إلى رباط،وبين الرباطين أهز عرشي كما لو أني خارق للعادة.
- أحب أن أؤثث لمشروع روحي كي لا ينبث الإحساس الجميل من فراغ فقط،إني أبحث عن سين الطرح تلك التي تفجر أعماقي من خلالها،أستنجد بوابل من تراث أسقفية مدينة أليلي الناضجة بالحب المفزع،ذاك الولع الذي أنار صحيفتي،فاستوى على عارض صفحات العاشقين...
- أنا أكره التبعية المختلطة بروح القوانين الفاسدة هاته،التي تمنعني أن أجوس في الظلام راكضا أو ماشيا مشي الهربذي،بل أحب أن أستفرد بذاتي بعيدا عن مخافر الرقص المحرم تلك،سأتجاوز خطوط النهب الحمراء لذاتيتي،وأسامر القمر الوضاء فوق منضددة الإبليسية التي ننجمع عليها كل مساء،،،
- **سأتجيش رغما عنك....**

لقد ظللت لسنة وأنا شامخ منتصب متسمر أمام اللاشيء... أجتز الخيانة من بين قطوفٍ علا شذاها الملوث فوق مراقد مزيفة،نرقد فيها أحياءاً دون روح دون جسد دون إحساس ونحن نلوك كلماتنا الأخيرة...

- أين فرت الروح...؟

- لقد تبهرجتْ مثل لألئ الفجر المضيئة من بعيد،إزدانت بنورها فتجملت إيمانا منها بحلي الملائكة ،حين جاشت توائم طرحها مع طرحي،حبها مع حبي،نعماءها مع نعمائي،ضراءها مع ضرائي،،،

- لأتربع على عرش الزهد متوسماً خانقا خالفا تاركا ذاتي في حياة شبه عدمية،،،

إني أحب أن أتمرد...

- كان الصراع ليلاً أكبر مما كنت أتوقعه،في عتمة الليل الكالح تتضرع الشياطين خفية،فتجيش ولعا إلى مراكز الولاء حباً في تحريرها من قيود العبودية الرقطاء.تُمرغ أنوفها على رقعة البشر الميت هناك وهي تتغذى على وكور الصدغين الملوثين بالخطيئة.كل لحن كانت تصوغه أوتارهم لا يكاد يميط عني كدر أحزاني برهة واحدة.كل جفاءٍ كان يعلوا من حروفهم و همساتهم أضحى يدحدرني إلى اللا مكان عنوةً.يفقأ عيني إذا ما زاغت تلوح برمشها بعيداً عن عروش الشياطين...
- كنت أتخيل نفسي مرات تلو الأخرى **أخيلياً** من بني جلدة الرومان يعاتب على جَلْده لنفسه دون سبب لفعل ذلك،لقد ظللت أقاسي بحرارةِ الصمت لتصل بي اللذة والنشوة الأخيرة بأشكالها المتعددة إلى انتشاء أخير أحادي أبدي للا منتهي أبداً.يبعث في جوانيتي الخالصة الصافية انتفاضةَ مجادل مشروعة مقننة تحميني من الرفض الأولي فوق أسرة الرغبة المحمومة تلك أفتعل كل فعل يمسي بي منتشيا فقط لا غير ذلك لأطفئ بداخلي معه لهيب ولظى شرخ الشهوة لعصاميتي وفكري...
- إنني أتقلب حين نقعها بين كل الوضعيات على سرير الحلم المزيف هناك،تجدني تارة أهجع خالدا إلى النوم ومعي رصاصات أحملها كالتمائم تحفظني من هبات البعد الأخر حين أستصغر همة نفسي أمررها فوق روحي المعطوبة لأستمد منها في لحظات وجودية أنوار مقدسة منبعثة من ماء سلسبيل لا ينتهي كلما رشفت منه إلا وساعدني على أن أبقى مستيقظا طوال الحلم...

- فاطمة

- كانت جموع الشيطان هناك راقدة على مراقد الموت قرب مدفأة ملتهبة،تدفئ جسمها البارد بشرارات النار

الصاعدة من لهيب الرغبة الشيطانية،تدفئ نفسها كما لو أنها تقوم بحركات جهنمية على شاكلتها الخاصة.

- قبل أي اضطجاع مسبق ترغم نفسها على التحول إلى بشري خلقاً وخلقةً،لذلك كل ما فعلته هو أني ظللت أحملق في فضاء تخومها الشاسعة،أرقبها من على مدى قريب مني،حتى أستبعد بذلك سحلها بقوة الجذب إلى مرافئ الإبليسين،لم تكن بصدق إلا رغبة صادقة في التحرر والتخلص بما كُبلت بهْ من لعنات،وأنا أعتزلهم على طول ذلك الحلم..
- - إنها اللحظة المنتظرة...
- سأنتفض مختصما جموعها في خشوع،حين أتحرر سأململ روحي عارياً نازحاً بعيداً عن معقل اللعنة الشيطانية تلك،مصوبا تمائمي القدسية إلى كبدي كي تجوس منتقيةً روائع الصورة من حلمي المتسخ فقط....
- أتمم...!
- بعدها سأدحدر نفسي حول أريكة صماء مزركشة بألوان الطيف منتصباً،أختفي وراءها فهي جماد لا تصدر بحراكها المباغت أي زعق مباشر يشعرك بالخوف ،لذلك سأُحولُ حينها خوفي وأنا تحت الأريكة عارياً،كل مفاهيم الرغبة المشتعلة المتوقدة من لهيب اللذة الحامية المحرمة إلى لذة لا منتهية محللة،حتى يتأتى لي بذلك قيادة النشوة بنفسي عبر مساقها الصحيح،للحصول على ذاك الانتشاء الأبدي اللا منتهي المفرط.
- بل سأقوم بتكوين لحظتها معابر حدودية جنسية.تفصلني بين لحظة الخمول و الهبوط و السقوط.إلى لحظة التمكن من الرغبة الحقيقية التي أتمثلها بصدق في مضاجعة بشري حقيقي،وتحقيق بذلك تلك الإحساسات المطولة المشبعة بالإيكورتيزمية الجنسية،هذه كلها رغبات كانت ستجمعني بين إبليس وبناته دون الخوض في صراع الجحيم نفسه...

- لو أنجبت من الشياطين....!
- من سيصاهرني...؟
- انتشائي كبشري لم تكن له أي اعتبارات مجانية، فالرغبة أينما قادتك تسير خرسا طرشا لما قدتها إليه أنت،دون أي تفكير مسبق بتبعاتها.لا تتفكر أبداً في الرمزية المتبناة عن هذه الرغبة المحرمة حتى لو نتج عن ذلك عقم أبدي مطول...
- لو ضاجعت بنات إبليس
- إن ضاجعت إبليس فستنجب إبليس لا غير ذلك...
- ماذا تنتظر من حيوانات منوية تخرج من أيري الشياطين تلك....
- "شياطين"

- رغبة مزيفة...

- أضحت رغبتي في مضاجعة شيطان في حلم،كارثة لا تحتسب تبعاتها إلاَّ إلي في صمت...
- إنه الوهم بعينه...
- إنه الزيف بعينه...
- الشيطان...الشيطان...
- هي مجرد أثيمة عابرة تستأصل مني كل إيمانياتِ بوجود عالم آخر يحكمه الشيطان...
- إنه عالم الحلم يحرسه النوم فقط...
- إذ بالكاد أوشك هذا الحلم أن يصبح فقط رغبة متسخة سارية عنوة في دماغي،مثلي مثل من أصيب بحمى **الملاريا**،إذاَ نقع ورشف من قدح الدواء المؤتى إليه،شفي تماماً من صرعه الجنسي الحامي هذا ،دون ظهور أي أعراض جانبية خطيرة على جسده.
- هذه فقط كانت رغبات تستهويني أكثر حين أمارس لعبة التفكير في الحلم،لكنها لم تلبث إلا دقائق قليلة حتى فجرت أعماق رغبتي الملوثة في الحلم على إيقاعات بشرية نفسها من جديد،إذ هناك استدعى الشيطان صور النسوة التي قطعن أيديهن برؤية جمال

صدغي المشروخ،ثم أمسك لعابي وأقطر علي بعضا من ريقه في جوفي المسحوق...

- ظهرت فتاة جميلة....
- كيف أمتنع...
- أسميتها فاطمة.....
- فاطمة لا تفتحي الباب أرجوك....
- لما...؟
- إنها الشياطين تحاول فركنا بآثامها...
- لكن كيف سنفر من سطوتها...؟
- سآخذك إلى هناك بعيداً،حيث أمدك إلى نفسي متغاضياً عن جلال سلطانك...
- أستقيك من لجي أعماق زفرتي فوق أسرتي،وأستنشقك عبيراً صائغاً بِوَلَهِ حسرتي...أخفيك في جوانيتي بعيداً عنهم...
- كيف...؟
- و أنت ترقبني من طرفي الشارع بكل لهفة.هل سترنوا إلي بنظراتك الجارفة الحامية هذه،ورموشي لا تطرف إلاَّ لصدغيك المضيئة الخاسفة...
- نعم...
- سأرسل لك تحاشيا كل الصور القديمة المستلبة،لأراك على هوامش الطريق تنسلين كالرمد...
- أقاومك وأصارعك فننتصر أنا وأنت على صرع الشيطان...
- إنه إبليس ينظر إليك من تحت السرير...
- آه إني أخاف من قبلات الشياطين المحرمة يا عزيزي...
- لا تخافي عزيزتي...أصبحت أخافك...
- حسناً اذهب دعني وشأني أصرخ متسمراً دون أي خبر.
- إذهب لأعاود صلبك بأناملي...
- كيف...؟

- فاطمة:بعد الإنفراج سأزجك فوق حمم عقيدتي الراسخة،مثل خمم الرحم حين الولادةِ ننساب أنا وأنت،فنفر بعيدا عن إبليس،وتلقي علي تعاويذك الخاسفة للحضور الشيطاني...
- وأرحل أنا راضياً مذموما دون قبلة مسائية...
- لا يمكن...
- لما..؟
- فاطمة أنصتي جيداً...
- حين أستلقي على صرَّتي سيأخذني ترياقك إلى اللا نهاية.فأعود مسرعا منكسا رأسي في غبن،وأمتطيك علنا أمام صليبي المدنس...
- كيف يا عزيزي...
- سأقبلك وأقضي وطري فأنتهي منك...
- ها آنذا قضيت وطري...
- أحمد...أحمد...أحمد...إنها الساعة السابعة صباحاً...استيقظ الآن...
- ما بك يارجل...
- لا شيء فقط هو حلم الأبالسة....
- خلت نفسي أحارب الشياطين حقيقةً.يا له من كابوس مزعج...
- تفوا تفوا...

إنتهى

البوح الثالث

صَرْخَةُ وَلِـــــيدْ...

- "كلنـــــا" قبلنـــــا بصـــــياغة الخطيئـــــة كمـــــا هـــــي... لكـــــن "أنـــــا" رفضـــــت رفضـــــاً قاطعـــــاً أن تصـــــوغني... لأن **الكل والأنا** تورعوا في مربض الإثم دون قصد...
- فما بالك بالأثيمة حين تصاغ...
- لقـد أضـحيت هاربـا مـن ذاكـرة الماضـي المفجـع.إلـى هنـاك أنسـل كمـا تنسـل قطـرات المطـر مـن بـين غيمـات غاضـبة،كما ينسـل السيف من بين غشاء المحارب....
- لقـد أصـبحت أمجـدك دون عنـاء كـألف عابـد ناسـك،كـألف مملكـة فـوق السـماء فـي الفضـاء الشاسـع،كـألف محـراب منقـوش بإبـداع ملائكـي مقـدس،كـألف محـارب خالـدٍ لا يفنـى بغـرز السـم فـي كبده....
- حين تعيشين بعد الموت الطويل أيتها الأم الرحيمة،مُديني إلى قلبك في خضوع وخشوع كالرهينة،بل راسليني أمي من تحت الثرى لأواريك خلسة دون رجوع...
- إني أراك حين يجن الليل تزهقين روحي مرات تلو أخرى.فتموج منتصبة فوق بروج زادي القليل،وهي تذرف دموع الفرح بدوام الأروع ولأحيل.تقاوم لكي تنزع إلى رابية العبودية الحدباء دون إحساس بالزمن الذي يضيع منها،تصنع الألم من بطنك الفولاذي في انتصار مهيب.فتتوارى آثامك خلسة بين مروج الوهم الشاسعة لديك...
- لقد أضحيتُ بعد الولادة أشك في كل شيء حتى في وجودي...
- أصبحت أظن أن الوجود هو الجنة عينها...
لماذا أخرجتني إلى هنا...؟
- أ لكي تبتري كل ساقٍ لا إليك تمشي مشي الهربذي...
- أم تعشقين كناية الأجداد بمسمى القابلة فلانة.

- لقد أضحت طلاسمك الجهنمية وباءاً محموما فوق قدسية جسدي سرى.أصبحت كل نواصي البراءة على مضض تنيخ أمام أعتاب العبودية لديك...
- لماذا أخرجتني إلى هذا العالم الموبوء،لا بارك الله فيه ولا فيك...

- أول تنهيدة

- عبر أول تنهيدةٍ مكشوفة بالواضح،أستشعر عبور نسيم الجنادل من حولي،لقد أدركت بالتمام هذا الشعور على حين غرة،و عُمري بالكاد لم يتجاوز بعدُ دقيقة واحدة،اكتشفت أنِّي قُذفت إلى عالم لا أرغب في مشاركته مع أحد،عالمٌ يحمل الآثمين فوق عروش الاستبداد،ويطرح المواقف الإنسانية على آنية البتر ودولار.
- في أرضٍ يعبد بعظام البشر قصور الملوك الشاسعة دون اكتراث بجيفهم الملوثة.
- لقد كانت كل محاولاتي الأولى الحياتية عبارة عن صرخات طفيلية مجردة من الإحساس بالذنب الصارخ.
- صرخات هزت عرش ألف مملكة بألف ملك بألف عرش بألف أرض.ورثتها نسبة عن أجداد أناخوا أنفسهم،صرخات أذلتني أمام واقع الولاَّدة المرير،أكثر من أنها أنعشتني بصور الحياة والمتعة واللذة،بل أكثر من ذلك أنها أسقطتني راكعاً ممددا على بطني الصغير،أُلفُ الماء المخمم النازل من رحمها،وأنا خالفا ذاتي في شبه حياة برزخية،جاثياً و العرق المتصبب من جبين "القابلة" هناك،يلفني كحبل ممغنط بشحنات صاعقة كهربائية،لقد أدركت بالفعل أنها كانت بداية غير موفقة لوليد رأى النور عبر واجهات الظلام الأربع...
- الفقر،الألم،العقاب،الموت....

أول صفعة

- لم تتمصر البشرية على حين غرة زعقاً كما ادعوا...
- لم يمت المسيح مصلوبا على عمدان شبه مشوهة بجبل جلجلة خوفاً ...
- لم ينتهي العالم كما قالوا كاذبين يرعبوننا...
- فقط ظل الخوارج يثملون بمدينة تسكنها أفعال البشرية الداكنة وهم سكارى...
- فقط ظل الصراخ يسكنه الألم والعذاب والوهن والعجز،،،
- لم يتغير شيء قط في هذا العالم..

- ظل فقط الصراخ الصراخ تلو الصراخ...
- لا بارك الله فيك أيتها الدنيا الزائفة...
- لما جئتي بي لهذا العالم المزيف...
- إنها أول صفعة قاسية تمررها يدها إلى مؤخرتي الهشة الحزينة بعنف كالصاعقة،توجهها وهي تراقصها بضربات موجعة مفزعة تخلع الروح عن الجسد عنوةً،أستنسخها في ذهني ريثما تعود مجددا لتحملني بين يديها وهي تتبسم،أو لربما ذاك دليل قاطع على رفض خروجي لهذا الوجود الممتحن براءاتنا الصغرى...
- إنه التناقض الكبير يحصل هناك...
- ولأمر مشين أن تُصفع في مؤخرتك الباردة الرطبة،وأنت بالكاد لا تستطيع أن تتحمل ألم تلك الصعقات الجافية،فتصبر وتُكمد جراح آلامك الخفية دون عتاب أحد منهم،وتُحمل نفسك ما لا طاقة لك به خوفاً من ردود أفعالهم،يجب أن تتريث لأنك بالكاد خرجت إلى عالم لا تفقه ولا تعرف عنه شيئاً،لذلك ستجد نفسك تحلق بنظراتك الطرية كرجل الطي في الهواء،بل تصبح لا ترى سوى ضربات وتصويبات من أعلى إلى أسفل دون انقطاع خبر.
- ألم ألم ألم...
- لقد أحسست حينها بإحساس متطفل نوع ما عن كينونتي،وقد أوردت ذلك في صفحات الحياة الوجيزة عن خبر ولادتي،و أعترف لكم أنني أحسست بأول اغتصاب عن بكرة أمي لشرفي وكرامتي،لم يكن هناك طبيب متمرس حتَّى ليقطع عني وصل الصِّرة الممدود إلى أحشاء أمي النحيفة،كانت تتألم المسكينة وتنفث غبار الألم المنثور عن وجهها بتنهيدات جافة،تنجمع على باقي الأوكسجين الذي يخلوا من نسيم أنقى أضحى لوهلة مكدس بعرق الممرضات،إذ لم يتوان الوجع لحظتها عن سفك دمائها وإفساد نقاء الأرض بتلك الدماء المخيفة،كنت أراهم قد وقفوا ساعات كثيرة يراوغون ألمها ونحيبها ونعيبها و زعيقها،وهم يرقبونها في ضجيج متعالي مفزوعين من موتها الحتمي،حتى أنهم لم يفعلوا شيئا لنجدتها كي لا تموت هناك في ذلك المنزل الشتوي المهدم،لم يجدوا أذلهم الله إلاَّ هذه الكلمات المعصورة من طاحونة النفاق ليلفوها بها:
- "صبري أختي...صبري راه سيدي ربي غادي يفك وحايلك على خير..."
- كانوا ينافقونها...

- لكن رغم ذلك بيد ما تجدد هذا الألم في وهلة وجيزة،ليصبح عصارة أمل انفجرت على عارض أمنياتها بوليد جديد...
- لقد صموا وعموا وظلوا فقط يقدسون عبيرها وسرَّتها المخبوءة في عمق أحشائها،بكل وقاحة يستمتعون برؤية مشهد يدمي القلب،و يمارسون شذوذهم بعمق النظرات تلك عبر فرجها الملطخ بماء المشيمة.
- هم ينظرون إلى فرج البراءة،وأنا من تحت غطاء المشيمة أنظر إلى الأنذال ورباط الولادة يلف قدماي كالكفن.
- كانوا ملتفين حولي كالساحرات بكل حذر خائفين أن يتورطوا في أمور السحر والشعوذة،يتغنجون كالراقصات بوجنتي الهشة النحيفة لحظتها،فتارة يقطبونها بالحبور وهم يراوغون بدوام الأروغ والأحيل،وتارة أخرى يعبسونها و يمرغونها بأناملهم الفضية القديمة عقابا لي على وجومي.
- كانوا ينظرون إلى أمي قائلين:
- "إوا شفتي ها هو سيدي ربي فك وحايلك...
- تبارك الله شحال زوين،،،
- وا مبروك عليك ألآلة فاطمة،،،
- راك وليتي نافسة دابة...
- تمناي وتشهاي،،خاصك الرفيسة نصايبوها ليك،،
- ،ليتشها خاطرك."

- درهم في حق وجودك معنا...

- -كانت أمي تمد يدها بكل نصب ومشقة لتأخذ بعض من النقود الحسينية الأولى،أول رفعة يد إلى المتجمهرين حولي كانت تشبه وقفة المسيح على عمدان الخشب الرث بجبل المجلجل،تسحق عذريته لتخوض خوض اللئام معركة بلا سلاح... هي تسجن نفسها بدرهم بالي لتعيق الطريق بينها وبين الألم بحدود فاصل درهم قديم.
فاصل يربطها بين حدث الولادة والأمل والألم ربطا زمنيا يفض عذابها بغير تعس،ربما كانت تلك الدراهم لحظتها دراهم لها من القيمة المادية ما ليس لها حاضراً الآن من قيمة أخلاقية واجتماعية وغيرها من الكوارث التي كلما نضجنا أنافت معنا،حتى أصبحنا نعتقد أنها رغم كونها دريهمات بالية فقط،إلا أنها أضحت لا تخلوا من قِدم وجسارة

أصحابها في توفيرها الصعب،وما التعب و الشقاء في جلبها لهذا العالم إلا دليل جامع على أن وثن هذه الأمة هو الدينار والدرهم....

- نعبد المال في إطراق...
- كانوا منذ فترة الاستعمار وهم يطلقون عليها مسمى" زْرُورَة" كنايةً عن المال الذي يؤخذ عن الوليد لحظة ولادته،بحيث ربما كانت تلك النقود دليل على أن العالم اليوم أصبح عابد للمادة بشكل مشين،وعلامة العبادة الصامتة تلك كان يتجلى في مدى فرض المال على الحياة وعلى البشر وعلى القيم وعلى الكرامة...
- "قُلِّي أَشْ عَنْدَكْ نْقُولْكْ أَشْ كَتْسَوَى...."
- (لفظ بالدارجة المغربية"

- إحساسك حين يُقبض عنك أول درهم في الحياة

تنتصر الرغبة الجامحة على الدرهم،وينكسر الفقر عند أول درهم يقبض عنك في الوجود،رغم ضعف بصري لحظتها إلا أني استطعتُ أن أدرك مدى التخلف البشري الذي كان ينحوا بالدهماء منحى الضياع،رأيت الوجود مختزلا في بعض من دريهمات البشر المتسخة تلك.المنبعث منها روائح الإبطين الفاسدة،كانت كل النسوة تتأبط أمام عتمة الفقر دراهمها المعدنية بين إبطيها وبين تؤدها،،،لم أكن بريئا لأشاهد وأنا وليد تلك السلوكات المشينة التي نبعت بقصد من مجتمع ظل تحت وطأة الاستعمار النفسي قبل العسكري،إذ بكل جرأة صرخت بداخلي والرعية لا تسمع أبداً زعيقي:

"أمقت الوَّلاّدة "رُقية" و أكره أشباه رُقية،وأكره من والى رقية وتتلمذ على يديها المتسختين..."

لقد كانت أمي المسكينة تمسك بذراع سريرها الحديدي القديم،كما لو أنها تجرده من ملابسه القصديرية من ألم ولادتها،كل صرخة كانت تصوغها على شاكلة بسمة مهذبة ملطفة،تلوك كلامها أمام ظل الألم الذي كان يقسوا عليها،لحظات تجدها تترنح بين السرير متألمة جيئةً وذهاباً،وتارة أخرى تمسك نفسها كي لا تصرخ زاعقةً،حتَّى لا يقال عنها تحتضر خائفة من أول ولادة لها...

- أول ولادة متعسرة....؟
- لن تموت...لن أكون سببا في موتها...

- ستعيشين...؟
- لن أفتح عيني أبدا...
- اصفعي كما تريدين أيتها الولادة...؟
- أمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــي ماذا تفعلين..
- أمي أمي أمـــــــــــــــــاه....

لا تتركيني بين يدي الولادة "رُقية" ستصفعني كما تشاء...

فرح يتحول إلى حزن

لم أعد أستطيع إدراك أبدا مدى غباء هؤلاء الناس،لقد كانوا يصنعون من قيثارة الفرح أوتار الحزن،حتى أصبح عرس ولادتي جنازة يعمها البكاء والعويل،يقولون أمامي أنَّ الطفل الصغير الرضيع الجميل يولد بريء،ويبكون أمامي دون مراعاة شعوري الطيب بولادة متعسرة.

- كيف أسوقهم إلى الحقيقة ليدركوا أنهم أخطئوا،والخطيئة تملأ أعناقهم عن آخرها...؟
- إنه فقط مجرد عرسٌ بدوي ممزوج بصراخ الشبقية الأنيسية،عويل محنط بالشوفينية القاسية الذكورية،ضربات بالطبول بالكاد تمنح الحق للرجال كي يهتدوا بعيدا عن أقاويل النساء.وعظ الرجال وإرشادهم كان يمسك كلام النساء بعيدا عن حقول النقاش.يرفضهم بدعوى أنهم عقول ناقصة،لا تملك و لو مليما واحدا من الذكاء ...
- صراع بين البشر في أول يوم أضع فيه رحلي على الأرض.وكأني شبيه بلعنة فرعونية حلت على تلك القبيلة المحنطة،حتى أصبحت أمقتُ يوم الأحد،وأنتشله من يوميات الأسبوع بأكمله دون أن أراعي حزن الأسبوع نفسه على فقدانه يوم من أيامه.
- لقد كانوا يأتمرون على بعضهم البعض وهم جالسون تحت موائد الضغينة،يهمسون في آذانهم رجالاً و نساءاً،كانوا يمسكون الأبواق الصامتة أمامي،أسمعهم بكل وضوح وهم يتقنون أدوار النميمة والغيبة بكل صنوفها:
- "..ما تسمعش الكلام العيالات...راهم غاكيخربقوا...العيالات تخلقوا من ضلع أعوج...واياك أسي أحمد تسمع ليهم،،،دير ليقالك راسك...ما ديرش الشِّيخات رَاهُمْ حْرَامْ...دِيرْ غَالفَقْهة وْجِيب الطَّلْبةْ...."....

- كانت كل زغرودة من زغاريد الراقصات أمام بطن أمي،تَهِبُ لي حياتها المشئومة المدنسة بالخطايا اليومية...
- "la vie qoutidaint"....
- فحتَّى الطاقية الحمراء التي كانت تضعها "الشيخة رحمة البارودية" فوق رأسها،كانت تبعث في نفسي الضجرة بالامتعاض إلهام قتلها عنوة أمام المتجمهرين دون الصفح عن كبيرتها،واستئصال جبراً كل نقطة دم صافية من ميكروب أثْدها المتعجرف،على غرار بطن أمي المسكينةً التي كانت ملقاة على أسرة الوجع وهي تتنهد...
- لا لا لا لن أعاود النظر إليها أبداً...
- سأبقى معصب العينين منتظراً حتَّى يعود الجميع لمنزله في هدوء...
- بعد ذلك سأُطل بكل شوق على وجه أمي الشاحب،و أخبرها أني أحبها منذ كنت في بطنها إلى أن خرجت لهذا العالم الموبوء....؟

- غرباء في منزلنا

"الهزل الطبيعي يمكث في الإنسان منذ نشأة المخاليق...
فهل ينتصر الهزل الطبيعي على المصطنع..."

- يا إلهي....؟
- من هؤلاء لست أعلمهم...؟
- من أنتم...؟
- كيف تتكلمون بهذه الطريقة البشعة...؟
- أهذه لغتكم...؟
- ما هذه الرائحة المنبعثة من جلابيبكم...؟
- أهذه حياتكم...؟
- إنها بقايا حناء بدوية تعكس وشم النسّاء على الرجال،إنها رؤوس غريبة عجيبة ملطخة بعرق الجبال الوعرة لقبيلة بعيدة مستقرة بين جبال "الأطلس الكبير"...
- من هؤلاء يا أمي...؟
- كيف جاءوا إلى هنا...؟
- أين أبي...؟
- اندفعت أمي إلي بكل قوة على مضض،وكأنها سمعت ما كان يخامرني بقدرتها الجبارة على الإحساس بوليدها المضطرب،ثم رَّنَا رأسها إلي بكل حمية في لحظة وجيزة فقط،وهي تنزع بشهيقها وزفيرها إلى الابتعاد عن كل المخاليق هناك،وأخيرا تدلت فوق عرش قلبي

المكسور،و اهتدت إلى إمساكي بيديها الطاهرتين بعيدا عن ضجيجهم المزعج،فقبَّلت صدغي وكأنها تميد إلى الأرض باسطة ذراعيها فوق السرير،لكي لا تزوغ نظراتها ساقطة في الفراغ،كانت بتحديقها الجاف المتتالي إلى عيناي مفعم بروعة اللقاء الأول،كما لو أنها كانت تحاول إرسال شفراتها الملغومة عبر مساق تلك النظرات المحمومة بالولادة المتعسرة،كل لو أنها تضارع المنازع الذي هدّه سيف عدوه...

- عرس كالجنائز...

- "...رحمة بقلبي...رحمة بروحي....
ألا يكفيكم أني وليد متعسر...
ألا يكفيكم أني ودود بما يكفي لأصوغ جنازتكم عرسا بهيجاً...
لما تنتصرون على رغبة الحزن...
لما تنظرون دون إخماد حقد كم هذا صوبي..."

،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،

- سلمت الطبول من نعيب الغربان تلك،تحسنت في قرعها وظلت تُطرب الحاضرين من أصحاب الولائم بزغاريد الأرامل و العازفات والثكلى...
- لا تسمع سوى أهازيج تدل على تكريم مهيب،بملحمة شرفية أقيمت على شرف ولادتي،،،،
- "يويويويويويويويويو.....يويويويويويويويويويو"
- لست هوميروس...لست عشتار....لكني صاحب القلب المخلوع عن عرش أمه،عن بطنها الوفية،عن دمائها الطازجة النقية....
- أفاقت أمي،،،أخيرا أفاقت،،،شكرا لك يا إلهي...

كانت تتجول بعينيها همس هؤلاء الحاضرين،وأنا أرقب معها كالمتحري أصحاب البطون المنتفخة إلى شواربها،تحمل كتانا أبيض أهدته لها جدتي قبل موتها،وهي تنتظر فقط الفرصة المواتية لتقوم وتصلي ركعتين حمدا لله على وليدها،كيف ستقوم و الولائم الضخمة مبعثرة فوق طاولات صلدة،الكل صار ينقض بنهم على طعامنا دون مراعاتهم لفقرنا الكادح،يغتالوننا بالأكل دون توفير شيء للغد المدقع،حتى أنَّ بعضهم كان يحمل الحلوى ويضعها خفية بداخل جيوب جلبابه الفضفاض...

هؤلاء كنت أعلمهم جيدا....؟

لقد كانوا يلقبونهم في أسواقنا الشعبية كناية عن أبائهم وأجدادهم باسم "الغياطة"،أسماءهم العجيبة كانت تدل على أنهم أصحاب وجنات ضخمة بالفعل:

- "علال - الكروازي - خناتة – المسرفح - بو ططاقية..."
- والغريب في الأمر أنك لا تكاد تسمع حديثهم حتى تمل،يتحدثون فقط بينهم عن الشهوة البطنية والفرجية وحدث ولا حرج...
- "....شاياالله أمُولاَي عَبْد السَلاَمْ...."
- و أخيراً سيتم الإعلان على انتهاء هذا العُرس المبهج،ها أنذا أفتح عيناي الصغيرتين بعناية،موجها إياهما صوب دموع أمي المنسكبة على جبيني....
- لقد أُفقتُ من سباتي وكانت أول دمعتها مستفزة لي بوقارها لخطيئة خروجي إلى هذا العالم... نظرة حقيقية لازالت معي وساما أتوسمه في قلبي إلى الآن،،،،
- إنها أمي المسكينة مضطجعة على سريرها،كانت قبل لحظات قليلة فقط ترتوي من شطآن رحمة الله بها،أمَّا الآن تقلصت بطنها بشكل مهول،لتصبح كما كانت يوم ولدتها أمها...لقد صوبت نظرتي إلى حوضها الصائغ بكل خديعة،وصرخْتُ مكانها في أنفاسي العميقة دون أن تستشعر هي بذلك...

أرجوكم أريد بطن أمي...

- أريد مشيمتي...

- أريد أن أتغذى على دمائك البريئة أمي...أريد مشيمتي...

أرجوك لا لا لـــلــــــــــــــ........................

إنتهى..

البوح الرابع

مملكة الفانون...

"....مَا مَعْنَى أَنْ تَسُوقَكَ الأَقْدَارُ إِلَى مَمْلَكَةٍ تَحْكمُهَا الرِّمَالْ؟

- منذ ما يزيد عن سنتين وأنا لا أزال في ركود عبر الأيام،وكل أحلامي كجندي محارب تبعثرت على قائمة"الفيزا" وغيرها من آليات السفر عبر الريح،لم أكن من المحظوظين في السفر عبر أحلامي،فاخترت بدل ذلك مثلي مثل كل المنهزمين،أن أسافر مشيا عبر الرحل إلى السماء،قضيت أسبوعا بأكمله أمشي على ساقين منحرفتين متمسكا بأمثولة الحياة،متشبثا برموز القبلية الفاضلة،أُفضلها على القعود بعيدا عن نفسي الجائرة،والرجم يسقطني حيرة دون موت.وأخيرا وافقت مجالس القوم الأربعة أن أسافر إلى زمن تحده كل الأزمنة،إلى خاطرة تسوقني عبر قطار الحياة للموات،فكانت وجهتي نفسها إلى مكان تحده كل الأمكنة،إلى مملكة الفانون،إلى القيامة المعنونة بالعراء...

أول يوم على الحافة

في أول يوم لك تسافر فيه لذلك المكان،تحس بلهفة اللقاء باللا شيئ،و تنتظر على حر من الجمر أن تلتقي بحبيبك الوهمي على مشارف الزيف،فإذا رأيت الأبواب المصفدة تُفتح،انتشلتك الخيبة من فوق خيام الوهم أشلاء مبعثرة،وامتلأت أقداحك بأتراح اللقاء على مأدبة الفانون،و لامست روحك شيئا من الروحانية الإلهية،في أول يوم هناك تنطفئ أنوار المدينة على شرف لقياك،وتصعد الشهقات إلى السماء الرابعة خطوة خطوة،فترى العجب يحاصره الغضب،والزمان يحاصره المكان،والبشر تحاصره الرؤية الضئيلة،في أول يوم وطأت فيه ساقي أمام القلعة الكبيرة،جثوت جثيا على الأقدام،واستدرت ألتف على قلبي المحمول في يدي إلى

البـــاب الموصـــد،أراقب مـــن يخـــرج ليســـتقبلني وأنـــا علـــى اســـتحياء اســـتقبال الأبطال،هنالـــك رفـــرف قلبـــي قبـــل أن ينـــادي المنـــادي عبـــر أبواقه السبعة في القلعة،،،

"واستقبل الأبطال أبطالهُ استقبال الأبطال...

وودع الأنذال أنذاله وداع الأنذال..."

يجـب أن تكـون ممـن تـداركتهم نفحـات الله الجليلـة،يجب أن تكـون ممـن تداركتهم رحمة الله اللطيفة،،،

مـــر يـــومي علـــى أكمـــل وجـــه،بعض مـــن المعانـــاة،و شـــيء مـــن الحصـــار،و القســـوة والجفـــاء ســـيد اللقاء،والتســـاؤلات تمطرنـــي بـــالحيرة قبـــل فهمهـــا،آه كيـــف أفـــتح الأبـــواب الســـبعة،والأبواق ترفعهـــا مخلوقـــات شداد غلاظ،و اللغز نفسه يصف المشهد بالدمار والخراب...

أخر يوم أمام الأبواب

جوقـة فريـدة مـن نوعهـا عزفـت عـزوف الآزفـة،والجنود تحمـل حلـي الطبـــول أمـــام الأبواب.والكـــدر يمـــلأ أنمـــاط البشـــرية لا أولئـــك المخلوقات،لقـد خلقـت قبـل أن يخلـق الكـرْمُ،فلم تثمـل مـن شـرب خمـر البشر،ســـقطتُ أنـــا وظلـــت هـــي واقفـــة تعصـــف بنورهـــا نـــوري الضئيل،وكســـت بحلتهـــا جســـدي الهزيل،وأقامـــت علـــى صـــوتي نبـــرات الملوك،وخطفـــت أبصـــاري الشاخصـــة أمامهـــا عنوة،لقـــد اغتصـــبت عـــذريتي الكهنوتيـــة،ومرت بأقـــدامها الناســـكة فـــوق صـــدري الطاهر،لحظـة لحظـة...إني أرى شـيئا يخـرج مـن بـين الأبـواب السـبعة الضيقة هناك...من هناك،،،عرف عن نفسك...

أنت مجددا ما لذي جاء بك هنا،أتبحث عن شيء ما؟

لقـد حـدثني وكأنـه يعرفنـي مـن زمـن بعيد،أحسسـت أنـه يَقربنـي فـي الفهم،فـلا حـرج أن أسـأل بعضـا مـن الأسـئلة لأوقـظ نفسـي مـن هـذا الحلـم المـزعج،من أنـت أيهـا العجـوز لتحـدثني،أرجوك عـرف عـن نفسك أولا...

ضـــرب الأرض بصـــولجانه ضـــربات العشـــرات مـــن أولئـــك المخلوقات،فانشـقت الأرض وسـالت وديـان حمـر مضـيئة كـالجحيم،ثم

أسلمت إليه طواعية بهوادة،فاستوت على الجودي واستقرت من جهة الشمال فقط،ثم ضربها ضربة أخرى أشد قسوة وألما من الأولى،فاكتمل نصاب الضرب لتستوي مجددا على جهة الشمال والجنوب،هناك رفعتنا الأرض إلى سماء مملكة الفانون بسرعة الريح،وخرج الجند مدججون بكل أسلحة السماء والأرض ،تُصدع أثقال الأرض المدسوسة بالخواء،والكل يسجد أمام هيبة هذا المخلوق ذو الشعر الأبيض المجعد،تساءلت بدوري مثلي مثلك أيها القارئ...

- من يكون؟
- جلس بجانب العرش لا على العرش مستلقيا استلقاء الملوك الطيبين،ويديه البرونزيتين ملقاتين على هوامش العرش الأبيض،صرخت في وجهه موضحا له أني بشري لا أخاف من صعلوكة ملك فان....
- وقف المخلوق وقفة صامتة،وهو مستاءٌ من حديثي،ليتقدم إلي بخطوات تنذر بيقين موتي...
- ثم قال:
- أسلم...تسلم....
- قلت:أنا مسلم يا صاحب الفخامة...؟
- فقال منتعشا بحديثي:

إن من أسكنك فسيح القصور،،،واستودعك القلب النقي الخالص،أمرني أن أوقظك يا بني من غفلة الحياة،أنت هنا في مملكة الفانون تفنى فناء الحياة الضائعة،فلا تتعجب كي لا يسكنك فنائنا بلعنات الغجر،أنت لست سوى راحل أدى تأشيرة الرحلة منذ زمن بعيد،لست ميت بما يكفي،لهذا يصعب أن نلامسك أو نسامرك أو نصاهرك،أما هؤلاء الذين يترنحون حولك ويعرجون من سماء إلى سماء،فهم بأكملهم ميتون دون حصر...

- حين تستيقظ يا بني ستجد نفسك فوق الرمال ملقى على قوافل غجرنا الصحراوية،و الصحراء تلفك بأثواب الريح الهوجاء العاتية،والجماجم حولك تُسمعك نقع الغربان البائسة الذليلة لأعتاب حضرتنا

الوجلة،وبين يديك صولجان العدل والحق والإنصاف والجور،،،

- فاحكم بين الناس يا بني بالعدل ما تبقى من حياتك...

أنت لم تمت...أنت لم تمت،،،أنت لم تمت...

حين تأتيك لحظة الصمت المبهج بداخلك،وتنتهي الألسنة بلاهج اسمك،سأنتظرك على حر من الجمر لأدخلك حينها،من أي أبواب المملكة السبعة شئت،أما الآن فاستيقظ يا بني لينتهي حلمك....

- ما كاد هذا المخلوق الصادق ينهي تلك الكلمات الباسلة الرنانة،حتى ترجل رجل من على رؤوس الأشهاد،وهو يحمل صولجان الآلهة فوق مفرق رأسه على مهل،ظللت أراقبه من بعيد بما تبقى لي من مهلة البصر آنذاك،لكن للحظة وجيزة حاسمة،وفي زمن مبعثر ينقضي،أحسست إحساسا غريبا ينتابني،مهولا يكسرني،لذا كشفت عن نفسي حينها خمار الوهم بالأدب،وضممت الحقيقة إلى جانبي ضم المولع المختلج،فضعفت الرؤية الصحيحة تلقائيا من شدة الرهبانية،واستيقظت مباشرة على وقع الطبول الغجرية في الصحراء...

- لقد أفقت وأنا ممتطي هودج قوافل الصحراء الضخمة بأجمعها،بسطت بسطتها الأرضية بين رجلي النحيفتين بخضوع وخنوع،ولحد الساعة لا زلت أستغرب بأي تلك الطرق الممكنة وصلت إلى هناك،كل ما في الأمر أني وجدت بين يدي صولجانا ناصعاً،لا يسعني أيضاً لأصفه لك أيها القارئ بضع هذه السطور المنتهية،فالكلمات تنتهي عندما تضاجعني الحيرة والتيه أمام عيونك البريئة،،،

لقد استيقظت والمملكة الشاسعة الأقطار،مستقرة في رخاء وسلام بين عيني الزرقاوتين،لقد أفقت من سبات نومي،وكلامه يُدثرني ويُزملني على وتر نغمات عباب رمال الصحراء الذهبية...

- إني حائر بالفعل...؟
- لم يتبقى مني إلى الآن جسدا وروحا،،،سوى هذه الكلمات العجيبة المحيرة،التي أرجوا بكل ما تحمله

كلمة صدق من معنى،أن يشاركني بلباقتها قلنسوة الأطياف المهجنة،شبحاً غير إنسان،يُمسي بي و بها علانيةً أمام رياح شوقها العاتية،فنكون أنا وهي طرفاً راضياً معنون بذلك الجفاء، على جل مشارف حيي الصحراوي الخبيث،ننعم بالخواء ونحن في الصحراء...

إنه....إنه...إنه...بالفعل...

حلم نعبر به إلى ...مملكة الفانون...

البوح الخامس

مدينة شبه مهجورة...

- **لقد انساقت الروح في دروب العقاب دون أن تدري لما.أي فاجعة تهز أركان الوجود البشري أكثر من النسف الروحي والخسف البشري والقصف الجنسي...**
- **لقد تسلقت الأرواح عذاب كل الأمم السابقة واللاحقة،حين تجمعت على أعتاب السلطان تقهقرت وتهددت بالإنقراض،** أمام مدينة ملغومة تحاصرها أسرارنا المحمومة،أصبحت عقابا لصمتنا تَعصِفُ بنا القذائف برزمة وهاجة من الشتائم صوب أجسادنا،والناس تصرخ وتزعق و تلوك الكلم على مضض.
- **و نحن نشاهد فقط...؟**

- رأينا القبائل كتلةً سائلة فوق سِرَّة مدفنها تشجب الظلم المستقر بكينونتها،تصرخ وهي تُقلب الأرض بمعول الموتى عظاما و رُفاتاً،ثم تنظر بمنظارها الوهمي المدنس،إلى أجسام الصبيان المطهرة المقدسة هناك..."
- تتجمع القبائل على رحب الصدر،ثم تفترق على وقع الرصاص والقذائف والدمار،فيصرخ حينها ذَوِي القلوب المرتجفة:

- أفسحوا المجال لنا كي نرى من مات.و من هناك لا يزال على قيد الحياة...
- الحمد لله أنا وحدي حي...
- أنا حي..أنا حي...أنا حي...
- لكني وسط مدينة تنبذنا أزقتها المحاصرة بالتراب،تمقتنا جدرانها المبصرة بالماء علانية،لها نبضات قلبٍ لا تُسمع إلا بأبواقِ الأيتامْ،و لا تُحتسى إلا بأقداح الأحزان،كؤوساً تملأها رغبة الشهوة و الشقوة والمناجاة،إننا بربض أزقة تحمل في طياتها فراث الدم من نسل طوفان نوح،عواصمها لا تُعَمَّرْ إلا بعبير الأوهام والمزايدات على البشر.
- أنا هنا في مدينة تقف منازلها تحت أنقاضها السفلى،تحملها أعمدة طين الأرض الهشة المبتلة،و هي تعلو السُّحب الممطرة من الأرض إلى السماء جوا جواً،بل وهي ترقد جاثيةً على جنبات النيام هناك،تمزج رقودها برقود الهياكل الفرعونية الصلبة عنوة،وتمد يدها بسطةً مكسرة الفقر أمامنا،لتنتعش برطوبتها وبرودة نسيمها الملطفة بدماء العابثين بإنسانيتنا.
- كل طفل بريء هناك يعيش بين هوامشها الرثة الموحلة،متمسكا بإزار الحرية وما تشرعه له...
- أي حرية...؟

- أيُّ ديمقراطية....؟

- أيُّ سعادة....؟

-أيُّ حزن يمدنا للجناة أسرى...؟

- أَيٌّ والله كل طفل هناك إذا ما ارتد أو كفر سقط عنه لثام الإيمان بكدر،ولاذت روحه بالفرار دون خيبة أو ضجر،بل خوفاً من قسوة المحاكمة يستبدل إيمانه بالغلظة،والحسرة،والسخط،والسليقة،ليردع العدو دون خيار كي يتبخر،ليسقط مجسداً عذابه متحجرا بلا قلبٍ مخدوع منتهك الحرمة،سقوط الدرع من فارسِ النبالة أمام نضارة النَّار،وَ لاَ روحٌ واحدة تنعطف يساراً بعيداً عن جورها،كي تكسب رضوخه دون خضوع أو كسر للأنفة،أو تتغاضى عنه بالرؤية الممزوجة بالحب والحنان،كي لا تُتلفه بالرؤية النسبية المعطرة بالألم والعذاب واللا مبالاة...
- إننا هناك نرقص على إيقاع منضبط لمدينة لا تنام...

- يسكنها الأبرياء بالخطايا والآثام.ننام خرسا طرشا فوق وترِ مدينةٍ يُهتك فيها عرض الأبرياء عنوة أمام الملوك...

و يقال هكذا أمام فحولتي:

- "...زِيدْ عْطِي لْمُو.....عَرَفْتِي أْشْ دِيرْ...اغْتصبوا،أَنَا أسي الفْقِيهْ نَحْضِي لِيكْ الغَادِي وْ جَايْ...عْجْبْنِي فيهْ..."
- إنها نصفُ مدينَةٍ مكرومة بصراخ الضائعين على هوامشها،هي مدينة مَدينَةٌ لي بالحياة والوقار ما حييت،لا تَسقط أضواءها عند بزوغ الفجر الجميل،بل مَثَلُهَا كَمَثَلِ قنديل أم هاشم الساخط،موضوعٍ في يد سجين معدومٍ من الحياة باردْ.
- لقد سقَطت الدَّار و المنيةُ بما فيها من الأخيار تزغردُ...
- لقد انبجست الأخبار بالموت دون انقطاع خبر،وتحرر الحدث الملوث من الحصار تلو الحدث،حدث تلو الآخر يمسي بك في حديث المحصورين فقط،ويُعدمك من تجرع صيحات الحب والحياة الهانئة...

- كيف يهنئ بالك،،،؟

وأنت بالكاد على وقع هذه الكلمات يجافيك النوم:

- "...اغتصبوه...اغتصبوه...وا خْلاَوْهْ أَرْقِيَة شْفِيَة العَدْيَانْ...
- وَاكَ وَاكْ عَلَى شُوهْتْنَا...واسْمَعْ أَمْبارك الناس أَشْ كَايْقُولُوا..."

كَذِب فِي كذبْ...

كذب في كذب...

إنهم العابثون بالسراب...لا تَصْدُقِيهُمُ الخبر أُمِّي...

إنهم يُعلمونك أبشع ما تعلموه في مدرسة النفاق،يُبدلونك بدل الحقيقة مجاملاتٍ خاطئة،تنزع بكِ إلى المجهول محتذيةً بعواصف الزمن الهوجاءْ،لتسفكين دمائي أمام براءتي الطاهرة،كي لا تتركين ورائك أثار جريمتك الشنعاء...

- أترضين أن أقولَ لكِ أمام اللّه:
- "...عاَفَاكْ أَمِي إِلى مَا سَمْحِي لِياَ..."
- لماذا تَرجوها كالمذنب أيها الصغير...
- أنت لم تفعل شيء لتحاسب عليه...

- هم المجرمون...هم الفاعلون بك ذلك...
- لست أنت من أسدل ستار فحولتك،لست أنت من قطع قميصك من دبر...

كانوا يغتصبونك أمام الحي بقضيبهم الملوث بالخطايا الشاهرة،شهوةً في قدودك الغجرية العربية المليحة يسرحونك،و حين يقضون وطرهم ينسبونك وهم يعتلون المنابر إلى قوم الفجار سطوةً،،،

- هاَذاَ وَلْدْ الحْرامْ مَيَسْوَاشْ...رْجْمُوهْ...قْتْلُوهْ...صَلْبُوهْ...ما يْسْتَاهْلْشْ يْعِيشْ..."
- حقيقةً أن أمثالهم هم من لا يستحقون العيش الرغيد في قصورهم الشاسعة،و ليس أمثال هؤلاء الأبرياء الضائعون في سطور مخبوءة بألم الماضي الفقير،لقد خسفت بهم الأرض بدعاوي المظلومين،قبل أن تنزع إلى مكانها الأصلي عائدة بلا عتاب،و هي تميل بهم دون سماع خبر عنهم إلى مقصلة الموت...

إنتهى...

البوح السادس

الشرطة تُفْسِدُ اللقاءْ

- راودني على جمر الاستهام إحساس غريب،فقلت وأنا قاعدة على الوجين قبالة مرافئ المهارق،مستدركةً ما أشعر به من هواجس الخيبة والوهن:
- سأنتحل شخصيته لأراقص أقمار الدياجي،سأسامره وهو خجلان من قُبلي المحرمة،فوق ضلوعه على ساق الريح سأمر منتشية كالصاعقة،و أنا أمرغ ريقه وسط كومة قش ضائعة،أقبله فوق كهنوت السافلين الحاذقين،أتدلى عليه فوق أسرة قدسية ملتوية،فأهتك عرضه دون ملامة أحد،مثل الباكورة البدوبة أمده إلى فاهِ،ليعلم أن الحب الصادق رحمة بالعاشقين،أن الحب الراشد إحساس يكلمنا بمعاني متعددة،بلغات العالم كلها،أنَّ القلوب التي تكتم حبها دون معنى،تعش على هوامش الندم محاصرة،تعصر الجفاء المر بقدح الاحتضار،لتعيش على وقع رسمها متبلدة مستباحة،تمتد إلى هناك لتمد ريق معاناتها إلينا في خشوع تام،تعانقها السمراء و تصاهرها صراصير الندامة بعد اضطجاعها المطول،لتمتص من رحمها لهيب انتظار حبيبها المفجع،كي لا تموت بعد الاندحار المهيب،وهي تسقط من فوق رافعة الكذب أمتارا تخنق الفؤاد البارز عنوة.
- آه كم هام الفؤاد واهرورق الدمع الهطال على محياي،إنَّ القلوب التي تكوى بنار لا مفهومة،و جحمة لا معدومة،تدوم شامخة ولو جفت دماء جسدها نهائيا.إنه الحب المحرم **يا حبيبي...**
- **أنتم تعلمون أيها السادة أنَّ أنهار "الميسيسيبي" طُرها،لن تملأ ثغرات قلبي بمعين دمعها الملوث،بقطرات دمها المبعثرة على جوانية قلبي"**

كل مياه العالم أبدعتها أشكالا سريالية فوق راحة يداي،نسجتها برابط الزمن من عرق جبيني الكادح اللا متناهي،لتتذوقوا أنتم منها جمان معدنها القاتم،أصير بشكلي

المهلهل مثل رغوة الحنين،حين أظهر قدامكم بدون عذرية أنتشلكم بتوليفة النفس أجساداً عارية،فوق مروج مزيفة بلا أرواح أسحلكم بهدير قوي،وأسكن مع صفاء حبكم بعيدا عن أسرة الخطيئة بعيدا بعيداً،في كهوف جميلة منمقة تقطن في الخيال فقط،تتمطَّطْ في ذهني رغم كوارثها،لتتملط معها ذاكرتي القاسية وتنسحب الصور المجازية الخاطئة إلى معقلها بعيداً...

فأنسى كل شيئ

لا أريد شيئ...

أُرِيد راحة روحي فقط..أريد أن لا أكون امرأة موثونة،حتى وإن تمزق في قلبي الوثين،سأهرع لأحرر نفسي من رجم الحيارى مثلي.وأمشي مشية الهربذي، أدنوا بموائمة إلى روح الحب المحرم،وأنتحب:

- كل من أحبوا ماتوا في الفناء،وظلوا بأرواحهم سكارى حتى جاءهم خلاص الموات،أنظر إلى الشمعة كم تتفانى لترضي النَّار بانسيابها،أليس هذا حباً جوهرياً يفقد الظلم معناه البطولي،ويحول النار من مكون خالص طبيعي حار،إلى قدرة وهاجة غير طبيعية،تأخذ من ملامح الحب النقي التقي كل براءة،وتذروه بهوادة هشيما عبر واجهات الريح الأربعة،أليست النار تهوى صرع ذوبان الشمعة اللطيفة،وترسي شراراتها فوق مرافئ الخيانة عند أول دمعة طفيفة،أشواق الفؤاد بعصف تعبيرها تأججت،فطردت بقصفها المشروع نفحات الكرى وأزعجت،كل ذكرى لكل حبيب دامت في الذاكرة مستنجدةً،إزعاجا رائعاً لا ينصفني ولا ينصف حبي البتة.
- كيف أين ومتى...الله وحده أعلمُ و أدرى.

أليس الحب الشريف المحلل انصهار لأرواح في ما بينها،يُجَمِل الدنيا بجمالها روعةً بما فيها،و يزفها ورودا معطرة بنسيم الجنادل المهتدية،وهي في أصلها عفن في عفن في عفن.

- هي مكان الخطيئة...

- فيها عيش بقيود ولا خلود...

- إهتديت إلى كلامها لبرهة فقط،ودنوت رغم ذلك مستمدا طاقة الحب من عبير نفحاتها الممزوجة بالصبابة.

- اقتربت فوزية من أذني وانتحلت شخصية المحرر في جريدة الأهرام،فتعالت بأبواقها فوق حزني،وتمسكت بوثين قلبي السري التواق للانتفاض والتهيج،وهي تمتص بلسانها القصير ملعقة بيضاء سكرية قديمة نوعا ما،راحت تتمشى بخطاها المتثاقل على جنبات الغرفة الضيقة،إذ ما لبثت تنتهي من شدها بقوة جوانب فكيها المقوسين،حتى فتحت بصراخها القاتل جمع مشاعرها أمام خزاني المتدفق بالحزن.
- رقصت على جموح حبها فوق قرن الثور المروض،ثم صاحت أحبك وفاءا،لتشتعل النار بلا وقود وتتراقص نبضات قلبها بربض معطف مدسم بأديم الحب،كانت تزعم أنه يخالجها من تحت صدغها في سكون تام،يضاجعها الفراغ لتغمض عينيها في صمت دءوب،فأُحركها أنا من أسفلها أزاً باستماتة دون رضوخ أو خنوع.
- لأسهو معها في سهاد وبهاء وضياء جميل.
- لأجدها تنتشي في الحلم شبقية الجنس المطول...
- في قلبها هواجس شيطانية....
- لقد ظلت تسكب من معين دمعها ريقاً يجذب المولعين إلى "أسرتها"،فيذوب الحب المحلل كالشمعة فوق صفيح جفاء جسدها المحرم،وهي تتمرغ على أصالة قلبي لتمسكني بيديها العاريتين في غرفة مظلمة مقفرة،ثم تفركها بطواعية و تضعها مراراً على جفونها المهذبة مرتعشة تماماً،لكي تدعوا الشوق كي يذرفها مهجا في الهوى قد رجا،رجاها بكل همس أن تلهث مستمرة دواليك دواليك دون انقطاع،مثل الرعد الجارح حين يستثار غضبان،فما ينالـه من حرور البشر إلا صدى العصف المأكول،والقصف المحظور الحتمي المميت،حسبي بهذا أنتشل معها روحي درجاً درجاً نحو القمة.
- أي والله أفر دون مجاملة مستدركاً خطواتي...

- لقد رقبتها بأم عيني وهي تتطفل علي،حينما يذوب جسدها في الواقع،يذوب جسدها في الحلم تماماً،فتذوب الشمعة كما ذابت هي بروعة،وأذوب أنا مثل شمعتها الموضوعة على منضددة مكتبي فوراً،لدرجة أن ما يهجس في الضمائر يمنع الصورة أن تنشر الحقيقة المحرمة المحللة هناك،كنت أهجع في نوم متثاقل مرات تلوى الأخرى،وأنا أصرخ في حيرة من أمري،ابتعدي عني أيتها اللعينة،ثم تمسكني بكل برودة فأضمها في تسمر تام،لتتحسس نبضي المتشعب وهو يصدر منه الخوف والرعشة المميتة،كنا بمعيار حرارة أجسادنا المدعية الصبابة دون خجل،ندرك أننا أحياء دون إقبال بعضنا البعض على الرغبة المحرمة.
- تنتظرني فوق سريرها...
- تمهلني بعضا من الوقت،وهي تتخطفني ببصرها دقائق معدودة،كي نستعد للاهتداء طوعا للحرام،أمسكتني براحة يديها وهي تهدهدني كما يحرك الصبي في المهد:

"خذ جسدي المقدس هذا،وامدد يدك إلى جيبك مسرعا،أخرج ولاعتك و أشعل سيجارتك كما كنت متعودا ذلك،بكل علانية أنشرني أمام أوراقك المشئومة هذه،لا تكتب رواية عني ملغومة،أنثر فوق جبال عشقك المملحة كلماتي الصادقة،لا تكتب سوى ما أمليه عليك بهوس:
سأظل أحبك رغما عنك...سأموت فداك"

- تبسمتُ ضاحكا من جرأتها دون إصدار صوت يبشر بحبوري،ثم مددت غصن النقا المعطر بمسك الأندلس صوبها،ومشيت مهرولاً بنظراتي إلى محرابها السري،معيراً إياها في جمود كل اهتمام مشروع،نظراتها،شهقاتها،زفراتها،هي ملك لا حق لي في امتلاكها...
- كانت كلما دنت مني تكسوها شعلة ربانية،إلاَّ و انفجرت ألغام الحب أمام ساقيها تواً،فنرتمي أنا وهي لحظتها دون أي تفكير مسبق بالخطيئة،نتدلى على أحضان بعضنا البعض،ونحن نفترش الفقر والطاعون في زمن الكوليرا عبر دجى الليل المعتم،كشبيه طائر كسرت العاصفة جناحيه باستماتة،لا يبحث المسكين سوى عن ملاذٍ هانئٍ يفر بروحه الهزيلة

المرتجفة إليه،وهو أمام سربِ فتاك من نفحات الرياح الهائجة المائلة...

- لكن...!
- أرواحنا الساخنة هناك تنعمت دقائقها القليلة فقط بالنشوة البالية،إذ ألجأنا السكر وتعاطي الحب إلى هجر بعضنا البعض دون سبب ينصفنا،أصبحنا بهجرنا المتتالي لبعضنا البعض نستنفر الصبابة المحرمة،ونرفض رؤية العشق،ونصوم الحب صوما أبدياً،وننتهي ممددين على أغطية الأرض بالاستحلام دون إشباع مسبق.
- أصبحنا معطوبين جنسيا دون سبب،مثل أولئك الذين فروا من تخوم هذا الحب الشاسع إلى أسرة هناك في اللا مكان.يسامرون الوهم،ويضاجعون الكلمات،وينتحبون إذا ما تطوس الجنس عليهم،أو فرض على أنفسهم ما لا طاقة لهم به،يستنجدون بالخلاص وهم على مائدة الخطيئة ينتظرون ولوج المخلص،ليرشدهم وهم معصوبي الأعين،صوب مكان عشائهم السفلي.
- لحظة عشائنا السفلي قد اقتربت.ثكلتك أمك يا فوزية....!
- أين معطفي الشتوي،أين عكازي البرونزي.
- تجملت مثل أقحوانية صفراء عراها الريح من شدة الفحيح،ثم لبست أحلى ما عندها في بيتها المصفد،فستاناً أبيض،و قلادة فارسية مطرز على جوانبها خطوطاً عربية فارسية،مكتوب على هوامشها**"حب محرم"**.
- جلست بجنبي مهتديةً إلى قلبي،وأنا أملح الخبز المرتمي على الطاولة،أكلنا لقمة طاهرة شريفة من يد بعضنا البعض،ونحن نرتجي الليل أن لا يفر مسرعاً كالسيل الجارف،أشعلنا الشموع المهذبة بعود ثقاب بارد،ومشينا في طريق مسرع نعتنق الحب بلذة لا متناهية،هي تُولني قلعة قلبها،فأثلج أنا صدرها بالحنان والصبابة والوله.
- لقد مهدنا في الساعة الثانية عشر ليلا لميلاد البشرية قاطبة،أنشأنا دروزا وفينيقيين وعرب ورومان ومجالدون ورق،لذلك أمسكنا ريقنا المستساغ من عذريتنا الفتانة،ولطمنا به وجوهنا الشاحبة أمام مائدة من الفضاء الشاسع،أُنزلت إلينا.

- قعدنا في حضور بهي مع ملائكة السماء،ونحن ننتهي عن المحظور فرضاً واجباً...
- للحظات...للحظات فقط...
- دق الطارق باب غرفتنا!
- قلت صارخا منددا في غضب،زاجرا ذلك الغبي الذي أَبطل علينا خلوتنا السومرية.
- من هناك؟
- لم يجب وظل الغبي فقط يطرق بسذاجة ويترنح من النافذة إلى الباب،قمت من مكاني مهرولا محمر الوجنات صوب الباب،أخجلني أمام حبيبتي،فأمسكت المفصلة وأخذت أجر الباب نحوي حتى فتح على واجهاته كلها،فإذا بهم هناك صفوفا لم أستطع عدهم:
- من...؟
- من....؟
- هههههههههههههه
- إنهم الشرطة يا حبيبي...
- صرخوا في وجهي واتهموني بالدعارة...!
- صرخت كذلك في وجوه جمعهم الساقط،واتهمتهم بإفساد خلوتي عنوةً.وطلبت من الضابط أن يُمكنني منه حتى يكتب لي محضر خاص،أتهم فيه الشرطة على فعلهم هذا.
- قام أحدهم من وراءي فأمسكني،وأنا أصرخ وفوزية ترقبني ضعيفا كالقرد أمسكه السبع،قلت:
- خلوا سبيلي...خلوني أرتحل إليها...لن أعود إلى الحرام...صفعني على جبيني دون احتشام من حبيبتي فوزية...
- وقال بصوت صاخب:
- "هذا جزاء حبك المحرم"

إنتهى

البوح السابع..

غرفة ستة عشر

- كنا نسمي غرفنا عرفاً متداولاً،كما نسمي أبنائنا بأسماء تراثية جد مبهمة،في كل غرفة معتمة مظلمة تلحق مشاهدنا المستنسخة إليها،لتمتزج الصور الخائبة بداخلها وهي تقبع بعصارتها في نور ذاكرتنا الحية.
- أترى الآن النور الكامن أمامك؟
- أي نور هذا يا روح قلبي...!

لقد امتلأ قدح الحب عن آخره بهواجس المحرم،ونحن على فراش الحرام نلعق ريق بعضنا البعض،ألا نحتسي خمر الجنة الفاضلة يوماً ما،و ننتشي بدل الحرام الحرام،،،

- حبنا الطاهر ينتعش من رحيق الروض، ولو لبرهة زمنية سننتشي الحلال...؟
- هههههههههههه...

- نم يا عزيزي فأنت بالكاد لا تستطيع أن تخطوا خطوة واحدة صوب الشماعة،ممكن أكون لا أستطيع الحراك،لكننا اخترقنا الزمان والمكان لنضع بصمة التحرر دون جزية أو فدية،و جزائنا لهذه السنوات الطوال أن نقضي طول عمرنا مرتمين فوق قلاع الحرام،نحصن أنفسنا من الطهارة العقلية والنظافة القلبية،كي لا تمسنا الهواجس الشيطانية إلا بخير ما تأتينا به من خبر من كانوا قبلنا،و جاءوا بعدنا ثم انتهوا هنا على هذا السرير الذهبي،لقد تجاوزونا في الدهر،وفي الحب،وفي الحرام،وفي العمر...
- و هم يقولون إذا كان رب الدار للدف ضارب،فكيف لا يرقص أهل الدار على نغمات الحرام،أن يستنجد الضارب بقبضة يديه،ويدق طبول المحرم ما لانت أصابعه أمام غشاوة تمسكت جوانبها بحروف الدف،يسقط أهل الدار مغشي عليهم من وابل

الضـــربات المصـــفوعة برعـــد الضـــارب،نحن نخطـــو يـــا حبيبتـــي علـــى خطـــى الضـــارب لـــه،لكن بأبجـــديات تفكيرنـــا الخـــالص التام،وبمســـلمات عيشـــنا وقوانينـــا المعروفـــة فـــي الحيـــاة،نحن أكبـــر يـــا عزيـــزي مـــن أن يتطـــوس علينـــا الجنـــاة أصـــحاب الجلابيـــب البيضـــاء.المزخرفة بـــأبواب الجحـــيم الســـوداء،والملطخة بزيـــوت الـــدناءة والكآبـــة والـــنقض والامتناع.

- لقـد أصـبحنا بكـل مرونـة نخلـط الأمـور العاديـة فـي حياتنـا بأخرى مركزة جدا جداً...

يـــا عزيـــزي إن المجتمـــع لـــن يـــرحم شـــابين وقعـــا فـــي حـــب بعضـــهما الـــبعض منـــذ نشـــوء أظافرهمـــا،ثم قـــادهم هـــذا الحـــب إلا ارتكـــاب مـــا لا تـــنص عليـــه قـــوانين الشـــرعة شـــرعا،لذلك رُفضـــنا ونحـــن علـــى رأس الـــرفض محتجين،لقد قالوا بأنهم:

- أحبوا في الحرام...
- وعاشوا في الحرام...
- وتوجسوا من أنفسهم خيفة وهم في الحرام...
- فكيف نعيش ونحن نتخبط في وهم الحرام...
- أتريـــد أن تـــتملص مـــن قـــانون الشـــرعة لكـــي لا تعاقـــب،كن أكيد أنك ستعاقب يا عزيزي.

- إذاً نتوب يا حبيبتي.
- كيـــف لـــك أن تتوضـــأ للتوبـــة وتســـوق قلبـــك إلـــى ربـــك دون طهـــارة،و جنابتـــك تفـــوح منهـــا مـــن بعيـــد لبعيـــد عطـــور الدباســـة المخزيـــة،والخبث والســـخط الكارثي.أأبلـــه أنـــت أم تدعي البلادة...؟
- لقد أصبحت رجلاً أوجن....
- لا لـــيس ذلـــك مـــا أقصـــد عزيزتي،أَرجـــوك أخبرينـــي كـــم نبلغ من العمر الآن يا عزيزتي...؟
- فوزية:هههههه إننا نبلغ من العمر سبعون سنة...

- يـــا إلهـــي مـــرت كمـــا لـــو أنهـــا يـــوم أو بضـــع يـــوم،أتكفي لنتعانق أنا وأنت سوياً دون رضوخ لنزوة الموت...!
- نعـم تكفـي يـا عزيـزي لنسـافر بهـا أنـا وأنـت إلـى مكـان لا أحد فيه سوى أرواحنا والذات القدسية.

- كيف و لقد تحررت أشعارنا المهيبة لتسكن عمق ذاكرتنا عنوة،وهي تتصدى بكل قوة لكل معاني الاندثار والاضمحلال،دون إعادة إعمار ألمنا من جديد سنعيش في سلام.

إننا نعيش هبّة واقعية متصاعدة تماماً،تستند بقوتها إلى جموح حبنا،لا تموت رغم أنها تعلوها الرغبة بالإنجاب حتى وإن بلغنا من الكبر عتيًّا،كل عناقنا الممجد هنا يا عزيزي نستمد منه ثانية أخرى لنعيش سنة بأكملها هناك...؟

- ههه تبحثين دائما يا عزيزتي عن أسباب مباشرة لتبرري إيجاب الحرام،أنت في سن يناهز السبعون السنة وتتحدثين عن الإنجاب بكامل قواك العقلية.أرى أن مفعول الانتشاء بدأ يؤثر على مخيلتك يا عزيزتي.
- أصمت أيها العجوز دائما ما تفتعل لنفسك تشبيهات جرداء،لتُنغص بها أمسيتي الجميلة بقربك،نم الآن وإلا رفعت سقف مطالبي فوق سريرك الهش هذا،لن تستحمل أكثر من قبلة محرمة...؟
- حسنا ها أنذا نائم لا حاجة لنا بذلك الآن....
- تصبحين على خير أيتها الضبابية،لكن قبل أن أنام سأحكي لك حكاية حب محرم...
- لا أريد قلت لك نم الآن...

إنتهى

البوح الثامن

كباريه العم ياسين...

-...لازلنا بكل جرأة نجتمع تحت مدرجات القيامة والبعث صغاراً،و نحن نتجرع جمود وسكون الموتى على أضرحة الوهم الممزقة بالصراخ،فتارة نرقب الحي المصفح بمدرعات الشياطين من بعيد لبعيد،و تارة أخرى نتمشى على أنقاض أبنيةٍ تراكمت فوقها الخطايا بلا حصر،نرمي الحجر البرونزي المغلف من أعاليها على قفا البشر الميت،و نجري بهلع دون سقوط في أحضانها،حتى إذا ما تحركت الأبنية الإسمنتية من تحتنا وثبنا...

- أَتُرى الآن أيهما من حديثي أُفصحُ القول عنه...

- لستَ تدري كيف صاغتك الخطيئة في الطفولة البريئة...؟

نعم...لست أدري...؟

- لقد نضج عقلي بما فيه الكفاية،ونما معي صوتٌ غريب بداخلي،صوتٌ يُقومني إذا ما زللت،يصارعني إذا ما انتشلتُ روحي بعيداً عن جسدي النحيف،يصيبني بنوع من الرثاء الساخن إذا ما استسلمت لطفولتي البائسة،صوتٌ يصرخ بي وأنا أحتضر ذاتياً..؟

يقول:

- "أصبحتَ الآن رجلاً ذو شوارب...

- أنا رجل...ذو شوارب هههههه"

- كانت كل بيوت الكباريه القديمة هناك تصدر منها روائح غازية منتنة لأجساد ميتة،عطور قديمة لا تستهويك فقط بشهوتها ورغباتها المنتهية بصورة الإستهام المضاد،بل كانت أكثر من ذلك تضاجعك في المخيلة رغبة في إغراقك بخطيئة البشر المدججين بالآثام،ولعاً في جسدك وليس في شهوتك ورغبتك،لقد عددتها بجموع ما فيها لمَّا كنتُ صغيراً،عشرُ غرفٍ سوداء وبيضاء،في كل غرفةٍ حرفٌ واسمٌ ورقمٌ يدل على صاحب الغرفة وصاحبته،كنا نسترق النظرات المحرمة من ثقوب الغرف المهدمة

بدمار الزمن،لنشهد بـأمِّ أعيننـا افتتاحيـات لمهرجانـات الدعارة بكل أحداثها كبيرها وصغيرها،كانت جل نظراتنـا هنـاك تعلوها الحيرة بصـراخ النسـاء والأطفال،و تتقمصها التجربة الخاطئة الدنيئة المخبوءة في صـور الماضـي والمستقبل،لتسبقها ركضاً على ساق الـزمن مـع حـافلات تسوقها الأيـام إلـى مسـير الـزمن نفسـه،فتنحتها بتصـرفات أطفـال طائشـة خجـلا،و هـي تمنـي نفسـها بالمتعـة المزيفـة داخـل مـراحيض المدرسـة،كانت تستحضـر معهـا رجـوة كـل صـور الحاضـر الموبـوء بالكبائر،كـانوا مـن التجربـة الخياليـة يصـنعون الفضـائح الكبيـرة فـي مجتمعـاتهم،هم هكـذا يبـدءون بصـغائرها لينتهوا على مشارف الجريمة بكبائرها،آثام تدفنها الروعـة واللذة المحرمـة عند كل قضاء وطر منها،حتى أنك بالكاد تكاد تَسمعْ الصـراخ يُسْقِطُ سَقف مطالب السيدة الباغية "دْلاَلَةْ" هناك...

"...خْـرْجْ أَوْلْـدْ الكَلْبَـة...رَاكْ زَدْتِـي فِيـهْ...واللَّه وَمَّـا خْلْصـتِينِي فْذَاكْشِـي لِيكَانْسَالْكْ حَتَّى نْدعِيكْ القَايْدْ..."

كنا نسمع بأبواق الدناءة،حديث هذه الباغية "دلالة"ونحن صغار على مرأى من الفجرة،تخطبُ فينا بالخطيئة والنجاسة كالمرشد قرب أعتاب المسجد...

وتقول:

"...لَوْ كَانْ رْبْكُم َكايْنْ...كُنْ قْتلْنِي أَوْلادْ الكْلابْ...."

ظل التساؤل ينحر رقبتنا،لذا كنا نتساءل دوما و بإصرار ونحن قعود على سفوح البيت المهدم،كيف تحمي سلطة القانون، باغية ترتكب المحرم دون خـوف مـن رجـم المسـلمين لها،لقـد تجـرأت علـى الله بكـل وقاحة،وسـكَّت قوانينها بدل قوانينهم بكل أريحية وسلطوية،،،

همست العجوز بحشرجة صوت مبحوحة،و على إثر إفراطها من احتساء النبيذ سقطت تمضغ كلماتها:

-"...لِـي عَـاطِينِي شِـي حَاجَـة...يْجِي يْـدِيهَا...وَ لِيمَـا عَاطِينِيشْ...يْعِيشْ أولادْ الكْلابْ وَمَا يْحضيشْ"

علـى العمـوم صـارت الخطيئـة جريئـة بمعناهـا البطولي،واكتشـفنا فـي النهاية أنَّ السلطة الوضعية،تحمي المومس أمام سلطة الله القدسية...

هذا عقاب الله لنا...إنتهى

البوح التاسع

خُنُوعْ

- الكــــل صـــــوب التـــــابوت أحنـــــى رأســـــه... إلا أنا ظللت باسقاً شامخا كالظل الوارف...
- أمـــد كنفـــي إلـــى الأرواح البرزخيـــة،لتخرج الموميـــاء أمـــامي تنـــزع...

فنموت من جديد معا...

- يؤســـفني أن أشـــير بســـبابتي إلـــى تلـــك المدينـــة الماجنـــة،و أحـــرك صـــدغي نحوهـــا برعونـــة تامـــة،إني أمقـــت نفســـي حـــين أتنهد بحسرة على ما تحتويه من خطايا بارزة...
- يا إلهي:
- لقـــد نحتوهـــا فـــي أعمـــاق قلبـــي علـــى شـــواطئ الإمعـــة بخنوع،شـــظايا مـــن شُـــطْآنٍ دم بـــاردة لا تمـــوج ولا تصـــوغ كوارثهـــا بنفســـها،ولا يُنتثـــرٍ عُبـــاب بحرهـــا علـــى وجهـــي الحـــزين المصـــفر بكـــدرها،إنها تنهيـــدات مـــن تأليهـــاتِ بحـــورِ اختلطـــت أنهارهـــا الفاســـدة بوديـــان دمـــي المطهـــرة،إذ أحيانـــاً مـــا تتـــداركني فتُقبلنـــي علـــى صـــدغي برشـــفها الملـــوث بجيـــف البشـــر،ثم تَلفنـــي بـــين صـــاعها المطـــاطي المنحـــوت بالخطيئـــة والعقاب...
- أتراني من بعيد..هيهوا...؟
- إنني هنا...؟

فـــوق ركـــام بيتـــي جســـدت عطـــور تلـــك المدينـــة العـــاهرة،بعرق محمـــومٍ مـــن خطايـــا شـــياطين لا منتهيـــة،لقـــد رشـــفت قـــدحا مريـــراً علـــى جثتـــه الهامـــدة الباردة،وأمطرتـــه مـــن تلابيـــب قســـوتي بأحجـــار دنيئـــة مصـــقولة بـــالإثم والعقاب،فركتهـــا ظنـــاً منـــي أنهـــا ستشـــفي غليلـــي فـــي الانتقام،لقـــد أصـــبح روث الأبنيـــة الســـاقط هناك،يُلطخ قلنسوتنا بعار المدينة العاهرة...

- لكنها مجردة...؟
- عن أي مدينة أتحدث...؟

- مدينـــــة عـــــاهرة مثلهـــــا لا تصـــــلح ليبنـــــوا فوقهـــــا أجســـــادا معتمرة...
- " ...لـــــــن أســـــــجد لأوثـــــــان مـــــــدينتكم العاهرة...خـــــــذوا صلـيبكم....خذوا محاريبكم...خذوا خطاياكم بعيدا عني...

إنتهى

نبذة

- أُحِبُّ أن أؤسس لنفسي مشروعاً لا يداخلني فيه أحد،أبغي منه وحدي فقط الشيء الكثير،أشياء كثيرة ستدنني من رباط إلى رباط،وبين الرباطين أهز عرشي كما لو أني خارق للعادة. - أحب أن أؤثث لمشروع روحي كي لا ينبث الإحساس الجميل من فراغ فقط،إني أبحث عن سين الطرح تلك التي تفجر أعماقي من خلالها،أستنجد بوابل من تراث أسقفية مدينة أليلي الناضجة بالحب المفزع،ذاك الولع الذي أنار صحيفتي،فاستوى على عارض صفحات العاشقين... - أنا أكره التبعية المختلطة بروح القوانين الفاسدة هاته،التي تمنعني أن أجوس في الظلام راكضا أو ماشيا مشي الهربذي،بل أحب أن أستفرد بذاتي بعيدا عن مخافر الرقص المحرم تلك،سأتجاوز خطوط النهب الحمراء لذاتيتي،وأسامر القمر الوضاء فوق منضدة الإبليسية التي ننجع عليها كل مساء،،،

عن الكاتب

الأديب الكاتب إدريس عبد الجبار خريج جامعة محمد الخامس الرباط ، تخصص علم النفس الإكلينيكي،ليسانس علم النفس،محاضر تربوي،أستاذ الفلسة بالقطاع الخاص،مربي تربوي،له عدة إصدارات سترى النور قريبا منها ما تم طبعه بشراكة مع المكتبة العالمية اي-كتب...

دار الزنبقة